تسلية المصاب

مما في البلوى من النفع والثواب

جمع وترتيب

أحمد فريد

عفا الله عنه

الدار السلفية للنشر والتوزيع - الأسكندرية

هاتف / 012/3490589

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

2000 -1425

رقم الإيداع

بدار الكتب المصرية

99/953531

الترقيم الدولي 2-16-5953-977

الدار السلفية للنشر والتوزيع

ت: 0123490589

الإسكندرية

تسلية المصاب

بما في البلوى

من النفع والثواب

جمع وترتيب

أحمد فريد

الدار السلفية للنشر والتوزيع

ت: 0123490589

الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المنفرد بالبقاء والقهر، الواحد الأحد، الفرد الصمد، ذي العزة والستر، الذي لا ند له فيبارى، ولا معارض له فيمارى، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل عقبَى الذين اتقوا الجنة وعقبَى الكافرين النار، قدر مقادير الخلائق وأقسامها، وبعث أمراضها وأسقامها. وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل للذين أحسنوا الدرجات، وللذين أساءوا الدركات، رحمة وعدلاً، أحمده على حلو القضاء ومره، وأعوذ به من سطواته ومكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن مُحمَّدًا ﷺ عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا.

ثم أما بعد:

فإنه من استخبر العقل والنقل، أخبراه بأن الدنيا دار المصائب والشرور، وليس فيها لذة على الحقيقة إلا وهي

مشوبة بالكدر، فما يظن في الدنيا أنه شراب فهو سراب، وعمارتُها وإن حسنت صورتُها خراب، والعجب كل العجب ممن يده في سلة الأفاعي كيف ينكر اللسع، وأعجب منه من يطلب من المطبوع على الضر النفع. قال بعض الأدباء:

طبعت على كدر وأنت تريدها

صفوًا من الأقدار والأكدار

قال بعض السلف: رأيت جُمهور الناس ينزعجون لنزول البلاء، انزعاجًا يزيد على الحد، كأنَّهم ما علموا أن الدنيا على ذا وضعت، وهل ينتظر الصحيح إلا السقم، والكبير إلا الهرم، والموجود سوى العدم.

قال الشاعر:

على ذا مضى الناس اجتماعٌ وفرقةٌ

وميت ومولود وبشرٌ وأحزان

ثم قال: لعمري إن أصل الانزعاج لا ينكر، إن الطبع

مجبولٌ على الأمن من حلول المنايا، وإنَّما ينكر الإفراط فيه والتكلف، كمن يَخرق ثيابه، ويلطم وجهه، ويعترض على القدر، فإن هذا لا يرد فائتًا، لكنه يدل على خور الجازع، ويوجب العقوبة.

وسبب ذلك والله أعلم ضعف الإيمان بالآخرة والانشغال عنها بالعاجلة. قال الله عز وجل: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: 29].

فلا هم لَهم إلا الدنيا. ولا أسف إلا عليها، والعين المتطلعة إلَى الآخرة ضعيفة جدًّا لا تكاد ترى، وقد عَمَّ هذا البلاء أهل هذا الزمان، نعوذ بالله من الخذلان:

فالدنيا لا تخلو من بلية ولا تصفو من محنة ورزية.

كما قال القائل:

المرء رهن مصائب ما تنقضي

حَتَّى يوسد جسمه في رمسه

فمؤجل يلقى الردى في غيره

ومعجل يلقى الردى في نفسه

فما رأينا ولا سَمعنا عن أحد لَمْ يصب في هذه الدنيا مصيبة.

فهذه رسالة لطيفة في تسلية من أصيب بمصيبة راجيًا من الملك الديان أن ينفعني بها وسائر الإخوان وأن يَجعلها للمحزون سلوى، وللمصاب عزاء، إنه أهل الإجابة والرجاء.

وقد جمعت مادتها من كتب جماعة من الحنابلة ونسقت بينها وأضفت إليها زيادات من غيرهم، وأنا ذاكر إن شاء الله تعالَى مراجع الرسالة في نهايتها والله تعالَى المسئول أن يجعل لي ولَهَا القبول لا رب غيره ولا إله سواه، وأحتسب عند الله تعالَى ثواب من تسلى برسالتي، وأسأله الدعاء بأن يثبتني الله في ساعة فقري وحاجتي وأن لا يَحرمنا في هذه الرسالة وغيرها، فإنه كما قيل: المصاب من حرِم الثواب.

تسلية المصاب بما في البلوى من النفع والثواب

من أعظم ما يتسلى به من أصيب بمصيبة فصبر لها واسترجع ما وعده الله عز وجل من الأجر والثواب[1] حيث قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157].

والمصيبة كما قال القرطبي: هي كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه. وقد جعل الله عز وجل كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب: «إنا لله، وإنا إليه راجعون» ملجأ وملاذًا لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين من الشيطان، لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة، فيهيج ما سكن، ويظهر

---

(1) انظر تفسير القرطبي -تسلية أهل المصائب- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

ما كمن، إذا لجأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة، فإنه قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار بالعبودية والملك واعتراف العبد لله بما أصابه منه فالملك يتصرف في ملكه كيف يشاء، وقوله: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بأن الله يهلكنا ثُمَّ يبعثنا، فله الحكم في الأولى وله المرجع في الأخرى، وفيه كذلك رجاء ما عند الله من الثواب

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين، يعني بالعدلين الصلاة والرحْمة، وبالعلاوة الهدى.

والعلاوة: ما يُحمل فوق العدلين على البعير.

ومن بركة هذا الاسترجاع العاجلة، بالإضافة إلى ما ذكر: ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ:

فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ(1).

ومن بركة الحمد والاسترجاع في الآخرة: ما رواه أبو سنان قال دفنت ابني سنانًا وأبو طلحة الخولاني جالس عند شفير، فلما فرغت قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ

(1) رواه مسلم (220/6، 221) الجنائز، ومالك في الموطأ (236/1) الجنائز، وأبو داود (3309) الجنائز بمعناه وابن ماجه (1598) الجنائز وقد روى ابن ماجه في فضيلة الاسترجاع كلما تذكر المصيبة وإن تقادم عهدها حديثًا ولا يصح لضعف هشام بن زياد، وإنما أردت التنبيه عليه لشهرته.

بَيْتَ الْحَمْدِ»[1].

❁ ❁ ❁

ومما يتسلى به المصاب ما ذكره ابن القيم رحمه الله في فضل الصبر على البلوى، ومن عدة الصابرين نقلناه[2]:

إن الله سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكبو وصارمًا لا ينبو وجندًا غالبًا لا يهزم، وحصنا حصينًا لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وقد مدح الله عز وجل في كتابه الصابرين، وأخبر أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب، فقال تعالَى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر:10].

---

(1) رواه الترمذي (4/236، 2437) الجنائز: باب فضل المصيبة إذا احتسب، وقال الترمذي: هذا الحديث حسن غريب، وأبو سنان لين الحديث كما قال الحافظ في «التقريب» لكن له شواهد يرتقي بها، وحسنه الحافظ.
قوله: «ثمرة فؤاده» قال ابن الأثير: يقال للولد الثمرة وذلك لأن الثمرة هي ما تنتجه الشجرة، وكذلك الولد من الرجل ما ينتجه.

(2) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم رحمه الله باختصار وتصرف.

وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتحه المبين، فقال تعالَى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة، وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال تعالَى وبقوله اهتدى المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

وأخبر تعالَى أن الصبر خير لأهله مؤكدًا باليمين فقال تعالَى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾.

وأخبر أنه مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط، فقال تعالَى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فقال تعالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين فقال تعالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار، لا يَحظى به إلا الصابرون فقال عز وجل: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: 111].

وخص في الانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزًا لَهم بهذا الحظ الموفور فقال في أربع آيات من كتابه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: 33].

۞ ۞ ۞

ومما يتسلى به المصاب ما صح من الأخبار عن المصطفى المختار ﷺ في فضيلة الصبر على البلاء وما يترتب عليه من خير وجزاء[1]:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»[3] أي يصيبه ببلاء.

وعن عَطَاءُ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ

---

(1) رياض الصالحين للنووي- فتح الباري شرح صحيح البخاري- الترغيب والترهيب للمنذري - تسلية أهل المصائب.

(2) رواه البخاري (335/3) الزكاة: باب الاستعفاف عن المسألة ورواه مسلم (144/7-145) الزكاة: فضل التعفف والصبر.

(3) رواه البخاري (103/10) المرضى: ومالك في الموطأ (9541/2) في العين: باب ما جاء في أجر المريض.

أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». قَالَتْ: أَصْبِرُ. قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»[2].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا

---

(1) رواه البخاري (114/10) المرضى، ومسلم (129/16) البر والصلة.

(2) رواه البخاري (103/10) كتاب المرضى، ورواه مسلم (129/16) البر والصلة وفي رواية (128/16) «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة» ورواه الترمذي كذلك بهذا اللفظ (186/14-187) الجنائز.

صَحِيحًا»[1].

وعن خالد بن علان قَالَ: قُلْتُ لأَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا قَالَ: قَالَ: نَعَمْ. «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ -أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ- فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ -أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ- كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلاَ يَتَنَاهَى -أَوْ قَالَ: فَلاَ يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»»[2].

قوله: «دعاميص» واحدهم دعموص: أي صغار أهل الجنة. وأصل الدعموص: دويبة تكون في الماء لا تفارقه. أي:

---

(1) رواه البخاري (136/6) الجهاد، وأبو داود (3075) الجنائز، وقد زار الإمام أحمد أحد تلاميذه وهو مريض فصبره بقوله «إن لك أجرك وأنت سليم غير مريض وأجرك وأنت مريض غير سليم» أي: أنه يجري عليه ما كان يناله من أجر في صحته بالإضافة إلى أجر المرض.

(2) رواه مسلم (41/8) وأحمد (488/2، 510) الصحيحة رقم (4532).

هذا الصغير في الجنة لا يفارقها، وأما قوله «صنفة ثوبك» أي طرفه.

وقوله: «فلا يتناهى» أي لا يتركه والله أعلم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَأْتِيكَ فِيهِ فَوَاعَدَهُنَّ مِيعَادًا فَأَمَرَهُنَّ وَوَعَظَهُنَّ وَقَالَ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ يَمُوتُ لَهَا ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: أَوِ اثْنَانِ فَإِنَّهُ مَاتَ لِي اثْنَانِ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوِ اثْنَانِ»[1].

وورد كذلك في فضل من مات له ولد واحد عن ابن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ فِيكُمْ الرَّقُوبَ؟» قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لاَ وَلَدَ لَهُ، قَالَ: «لاَ وَلَكِنْ

(1) رواه البخاري (18/3) الجنائز، والنسائي (24/4) الجنائز، وابن ماجه (1605) الجنائز.

الرَّقُوبُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا»[1].

وهذه الأحاديث أكثرها في الولد الذي لَمْ يبلغ الحنث، ولكن الولد الصالح البالغ أشد مصيبة على والديه خصوصًا إذا كان قد برز في العلم، أو له بر وإحسان إلَى والديه وأقاربه وأصحابه.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ»[2].

---

(1) رواه مسلم (161/16) البر، وأبو داود (4779) الأدب قال النووي: ومعنى الحديث أنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا، بل هو من لَمْ يمت أحد من أولاده في حياته، فيحتسبه له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فرطًا وسلفًا.

(2) رواه البخاري (242/11) الرقاق: باب العمل الذي يبتغي به وجه الله. والاحتساب طلب الأجر من الله تعالَى خالصًا، ورواه النسائي (23/4) الجنائز بمعناه عن عبد الله بن عمرو قال ابن الأثير: الصفي الخليل والصديق يختاره الإنسان ويصطفيه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» يُرِيدُ عَيْنَيْهِ[1].

❁ ❁ ❁

ومما يتسلى به المصاب أن يتعلم ما كان يفعله الصحابة والتابعون، إذا نزلت بهم المصائب[2]:

عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: اشْتَكَى ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ قَالَ: فَمَاتَ وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الْغُلَامُ؟ قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ قَالَ: فَبَاتَ، فَلَمَّا

---

(1) رواه البخاري (116/10) المرضى، ورواه الترمذي (244/9، 245) أبواب الزهد والمراد بحبيبتيه أي: عينيه وفي بعض الروايات «كريمتي عبدي».

(2) تسلية أهل المصائب -عدة الصابرين- البحر الرائق في الزهد والرقاق.

أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا» قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلاَدٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ»[1] وفي بعض الروايات: أنها جاءت بغلام حنكه رسول الله ﷺ وسماه عبد الله وهو الذي كان من سلالته الإخوة القراء.

فهذه امرأة قد تصبرت ورضيت واحتسبت، لفقد صبي لها، فنالت دعوة من رسول الله ﷺ، فكان ببركتها تسعة من

---

(1) رواه البخاري (3/169) الجنائز، ورواه مسلم (14/124، 125) بمعناه وفيه قصة تَحنيك الصبي.

وقوله: «هيأت شيئًا» قال الكرماني: أي أعددت طعامًا لأبي طلحة وأصلحته وقيل: هيأت حالها وتزينت قال الحافظ: بل الصواب أن المراد هيأت أمر الصبي بأن غسلته وكفنته كما روى في بعض طرقه صريحًا وقوله: فلما أصبح اغتسل. كناية عن الجماع.. باختصار من الفتح (3/ 170).

ذريتها قد ختموا القرآن، فليتأس الشخص، وليتعلم أوصاف السابقين الأولين، وليعلم أن الرجال أولى بهذا الصنيع.

وروى سعيد بن منصور أن ابن عباس رضي الله عنهما نعى إليه أخوة قثم -وهو في سفر- فاسترجع ثُمَّ تنحى عن الطريق، فأناخ ثُمَّ صلى ركعتين فأطال فيهما الجلوس، ثُمَّ قام يمشي إلَى راحلته وهو يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].

ورواه الحافظ ابن عساكر أنه مات لرجل من السلف ولد فعزاه سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد وآخرون وهو في حزن شديد، حَتَّى جاءه الفضيل بن عياض فقال: يا هذا أرأيت لو كنت في سجن وابنك فأفرج عن ابنك قبلك، أما كنت تفرح؟ قال: بلى، قال: فإن ابنك خرج من سجن الدنيا قبلك فسري عن الرجل وقال: تعزيت.

لما أرادوا قطع رجل عروة بن الزبير قالوا له: لو سقيناك شيئًا كي لا تشعر. قال: إنَّما ابتلاني ليرى صبري.

ومما يتسلى به المصاب ما روى عن السلف الصالحين في بيان فضل الصبر وثواب الصابرين[1]

عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ما أنعم الله على عبده نعمة، فانتزعها منه، فعاضه مكانَها الصبر، إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه منه.

قال سفيان بن عيينة في قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]. لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رءوسًا.

وعن يونس بن زيد قال: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحْمن: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبه المصيبة، مثل قبل أن تصيبه.

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 24].

---

(1) عدة الصابرين -تسلية أهل المصائب- الفرج بعد الشدة للتنوخي.

قال: صبروا عما أمروا به وصبروا عما نُهوا عنه.

وقال بعضهم: اقدعوا هذه النفوس فإنَّها طلعة إلَى كل سوء، فرحم الله امرأً، جعل لنفسه خطامًا وزمامًا، فقادها بطامها إلَى طاعة الله، وصرفها بزمامها عن معاصي الله، فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه.

وروى ابن أبي حاتم بإسناده في تفسيره عن خالد بن يزيد عن عياض بن عقبة أنه مات له ابن يقال له يَحيَى، فلما نزل في قبره قال له رجل: وإن كان لسيد الجيش فاحتسبه فقال والده: وما يَمنعني أن أحتسبه وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات.

وقالوا: الحيلة فيما لا حيلة فيه الصبر.

ومما يتسلى به المصاب عن ألم المصيبة أن يتذكر نعم الله عليه[1] وهي أكثر من أن تحصر:

قال تعالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: 18].

قال بعض السلف: حق الله أثقل من أن يقوم به العباد ونعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

ومن أعظم هذه النعم، أن يتذكر كيف هداه الله للإسلام وجعله من أمة خير الأنام ﷺ، قال تعالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

ثم يتذكر نعمة السمع والبصر، والسلامة من العلل والآفات، فمهما تذكر العبد هذه النعم تسلى عن مصيبته ووجد شغلاً في حمد الله عليها، والقيام بواجب شكرها.

---

(1) عدة الصابرين -تسلية أهل المصائب بتصرف.

ومِما يتسلى به المصاب أن يعلم أن الدنيا دار بلاء وامتحان وأنها سجن المؤمن وجنة الكافر:

قال ابن الجوزي رحمه الله: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لَمْ تخلق الأمراض والأكدار، ولَمْ يضيق العيش على الأنبياء والأخيار، ولقد لزق بهم البلاء وعدموا الراحة فآدم يعاني المحن إلَى أن خرج من الدنيا وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب يبكي حَتَّى ذهب البصر، وموسى يقاسي فرعون ويلقى من قومه المحن وعيسى لا مأوى له إلا البر في العيش الضنك، ومُحمَّد ﷺ يصابر الفقر، وقذف الزوجة، وقتل من يُحبه.

ولو خلقت الدنيا للذة، لَمْ يبخس حظ المؤمن بها، فإن الجمل يأكل أكثر منه، وقد قال النَّبيّ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» (1).

---

(1) رواه مسلم (93/18) الزهد، وأحمد (323/2، 389)، والترمذي (9/199) الزهد، وابن ماجه (41/3) الزهد.

وإذا بان أنَّها دار ابتلاء وسجن ومحن فلا ينبغي أن يقع جزع من البلوى[1].

❁ ❁ ❁

ومما يتسلى به المصاب، أن يعلم أنه إذا صبر واحتسب فإن الله يعوضه[2] ولا يخيبه، فإن من كل شيء عوضًا، كما قيل:

من كل شيء إذا ضيعته عوضًا

وما من الله إن ضيعت من عوض

ويعلم أن حظه من المصيبة ما يحدث له فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله فاختر لنفسك خير الحظوظ أو شرها، فإن أحدثت له سخطًا وكفرًا كنت في ديوان الهالكين وإن أحدثت له رضًا وفرحًا بقضائه كنت في ديوان الراضين.

---

(1) بتصرف واختصار من «الثبات عند الممات» لأبي الفرج ابن الجوزي تحقيق خالد بن مُحمَّد -دار الأندلس جده.

(2) تسلية أهل المصائب -موعظة المؤمنين للقاسمي- جامع العلوم والحكم لابن رجب.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر ومن لَمْ يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله.

فقضاء الله نافذ كالسيف، وأمره واقع، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولكن العبد هو الذي يربح أو يخسر بحسب رضاه أو سخطه.

قال بعضهم: لن يرى في الآخرة أرفع درجات من الراضين عن الله تعالَى على كل حال، فمن وهب له الرضا، فقد بلغ أفضل الدرجات.

فالرضا هو باب الله الأعظم وجنة الدنيا، ومستراح العابدين. وأهل الرضا تارة يلاحظون المبتلى وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون عظمته وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك حَتَّى لا يشعروا بالألم.

أصبح أعرابي وقد ماتت له أباعر كثيرة فقال:

لا والذي أنا عبد في عبادته

لولا شَماتة أعداء ذوي إحن

ما سرني أن إبلي في مباركها

وأن شيئًا قضاه الله لَمْ يكن

ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفهما[1] وهو بجزعه يزيد في مصيبته، حيث يشمت أعداءه، ويسوء أصدقاءه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه ويُحبط أجره، ويضعف نفسه:

وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضى به، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل على إخوانه فعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا هو الثبات في الأمر «اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر»[2].

قال بعض الحكماء: العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لَمْ يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم: يريد بذلك ما ثبت في الصحيح أن النَّبيَ

---

(1) تسلية أهل المصائب -عدة الصابرين.

(2) رواه النسائي (54/3) السهو، ورواه أحمد في المسند (125/4) والترمذي ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه ابن حبان في صحيحه.

ﷺ قال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[1].

قال ابن القيم رحمه الله: كل أحد لابد أن يصير على بعض ما يكره: إما اختيارًا وإما اضطرارًا، فالكريم يصبر اختيارًا لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يُحمد عليه ويذم على الجزع، وأنه إن لَمْ يصبر لَمْ يرد عليه الجزع فائتًا ولَمْ ينتزع عنه مكروهًا، وإن المقدور لا حيلة في دفعه، وما لَمْ يقدر لا حيلة في تحصيله فالجزع ضره أقرب من نفعه فإذا كان آخر الأمر الصبر والعبد غير محمود فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره.

ويعلم المصاب كذلك أن ما يعقبه الصبر والاحتساب، من اللذة والمسرة أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي

---

(1) رواه البخاري (171/3) الجنائز، ومسلم (228/6) الجنائز وأبو داود (3108) الجنائز، والترمذي (207/4-208) الجنائز، والنسائي (22/4) الجنائز، وابن ماجه (1596) الجنائز، وقال النووي: معناه الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه.

عليه، وفي الترمذي مرفوعًا: «يود ناس لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء»[1].

فالجزع وإن بلغ غايته ونهايته فآخر أمره إلَى صبر الاضطرار، وهو غير محمود ولا مثاب عليه، فإن استسلام للقدر رغم أنفه. والصبر والاحتساب تحسن عاقبته في الدنيا والآخرة.

(1) رواه الترمذي (245/9) أبواب الزهد وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه وحسنه الألباني.

ومما يتسلى به المصاب: أن يَجعل مكان الأنين والشكوى إلَى الخلق ذكر الله تعالَى والاستغفار والشكوى إلى الله الواحد القهار[1].

فالأنين والشكوى إلَى الخلق وإن كان فيها راحة للمصاب إلا أنَّها تدل على ضعف وخور، والصبر عليها دليل قوة وعزة وهي إشاعة سر الله تعالَى عند العبد، وهي تؤثر شماتة الأعداء ورحمة الأصدقاء. قال بعضهم:

لا تشكون إلَى صديق حالة

تأتيك في السـراء والضراء

فلرحمة المتوجـعين مرارة

في القلب مثل شَماتة الأعداء

قال أحد الصالحين وقد رأى أخاه يشكو إلَى الخلق:

---

(1) تسلية أهل المصائب -عدة الصابرين- جامع العلوم والحكم.

يا هذا ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلَى من لا يرحمك.

وفي ذلك قيل:

إذا شكوت إلَى ابن آدم إنَّما

تشكو الرحيم إلَى الذي لا يرحم

أما الشكوى إلَى الله عز وجل فلا تنافي الصبر، قال الله تعالَى مخبرًا عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الأحزاب: 36]. مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [الأحزاب: 36].

وقال أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44].

۞ ۞ ۞

ومما يتسلى به المصاب أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه فإنما هي بإذن الله عز وجل وقضائه وقدره فيرضى بها ويسلم[1].

قال عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11].

قال علقمة: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله، فيسلم لها ويرضى.

وقال النبي ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ

---

(1) موعظة المؤمنين -جامع العلوم والحكم لابن رجب- تسلية أهل المصائب.

كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

وقال ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[2].

ويعلم العبد كذلك أن الله تعالَى لَمْ يقدرها عليه ليهلكه بها ولا ليعذبه وإنَّما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه وشكواه وابتهاله ودعاءه، فإن وفق لذلك ربح ربحًا عظيمًا وإن خذل خسر خسرانًا مبينًا.

والمصيبة كير العبد الذي يسبك بها حاصله، فإمَّا أن يخرج ذهبًا أحمر، وإما أن يخرج خبثًا كله كما قيل:

---

(1) رواه أحمد (293/1)، ورواه الترمذي (319/9، 320) صفة القيامة قال ابن رجب رحمه الله: روى هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة وطريق حنش الّتي رواها الترمذي عن ابن عباس حسنة جيدة - بتصرف من جامع العلوم (174) وقال الألباني: حديث صحيح وإسناده واه. وقال: وإنَّما حكمت عليه بالصحة للطرق الآتية ثُمَّ ساقها- ظلال الجنة رقم (315، 316).

(2) رواه مسلم (203/16) القدر، والترمذي (321/9) أبواب القدر.

سبكناه ونَحسبه لجينا

فأبدى الكير من خبث الحديد

فإن لَمْ ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم، فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها، خير له من ذلك الكير والمسبك، وأنه لابد من أحد الكيرين، فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل.

ومما يتسلى به المصاب أن يعلم أن المصائب والشدائد تمنع من الفخر والخيلاء والتكبر والتجبر[1]:

فإنما نمرود لو كان فقيرًا سقيمًا فاقد السمع والبصر لما حاج إبراهيم في ربه، لكن حمله بطر الملك على ذلك، ولو ابتلى فرعون بمثل ذلك لما قال: أنا ربكم الأعلى.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة: 74].

وقال تعالَى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: 6-7].

وقال تعالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: 26].

فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقد عبده في كل حين

---

(1) فوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام نقلاً عن محاسن التأويل للقاسمي، تسلية أهل المصائب.

بأنواع من أدوية المصائب تكون حَمية من هذه الأدواء وحفظًا لصحة العبودية واستفراغًا للمواد الفاسدة المهلكة، فسبحان من يرحم ببلائه كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فالله عز وجل إذا أراد بعبده خيرًا سقاه دواء الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستخرج منه الأدواء المهلكة، حَتَّى هذبه ونقاه وصفاه وأهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته، ورقاه أرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته.

كتب بعض الكتاب إلَى صديق له في محنة لحقته:

إن الله يَمتحن العبد ليكثر التواضع له، والاستعانة به، ويُجدد الشكر على ما يوليه من كفايته، ويأخذ بيده في شدته لأن دوام النعم والعافية يبطران الإنسان، حَتَّى يعجب بنفسه، ويعدل عن ذكر ربه.

وقد قال الشاعر:

لا يترك الله عبدًا ليس بذكره
ممن يؤدبه أو من يؤنبه
أو نعمة تقتضي شكرًا يدوم له
أو نقمة حين ينسى الشكر تنكبه

ومما يتسلى به المصاب، أن يعلم العبد أن المصيبة تفتح على العبد أبوابًا من العبادات الظاهرة والباطنة كالدعاء والإخلاص والإنابة:

قال تعالَى في الدعاء: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 67].

وقال تعالَى مبينًا أن العبد في أزمة البلاء، يكون أقرب للإخلاص حَتَّى ولو كان مشركًا ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: 65].

وقال تعالَى في الإنابة وهي الرجوع إلَى الله عز وجل والإقبال عليه: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: 33].

ومما يتسلى به المصاب، أن يعلم أن المصيبة إما أن تكون تكفيرًا للذنوب، أو رفعًا لدرجة وفي كل خير[1]:

قال الله تعالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].

وقال ﷺ: «مَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[2].

قال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس.

وقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلاَهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ..

---

(1) فوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام نقلاً عن محاسن التأويل، نور الاقتباس لابن رجب، عدة الصابرين لابن القيم.

(2) رواه الترمذي (244/9) الزهد، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال عبد القادر الأرناؤوط: وهو كما قال.

حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى»[1].

فمن تحقق هذا وعرفه وشاهده بقلبه، علم أن نعم الله على عبده المؤمن في البلاء أعظم من نعمه عليه في الرخاء وهذا تحقيق معنَى الحديث الصحيح عن النَّبيّ ﷺ: «لاَ يَقْضِى اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلاَّ كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ»[2].

ومن ههنا كان العارفون بالله لا يختارون إحدى الحالتين على الأخرى بل أيُّهما قدر الله رضوا به وقاموا بعبوديته

---

(1) رواه أبو داود (2074) الجنائز قال في تحقيق جامع الأصول: مُحمَّد بن خالد مجهول كما قال الحافظ في التقريب لكن يشهد لمعناه الحديث الذي قبله- جامع الأصول (585/9) وقال في عون المعبود: أخرجه ابن منده وأبي نعيم انتهى. وقال المنذري في كتاب الترغيب: والحديث أخرجه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط (353/8).

(2) رواه مسلم (125/18) الزهد: المؤمن أمره كله خير ورواه أحمد (4/ 232، 233)، (16/6) بمعناه.

اللائقة.

❁ ❁ ❁

ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن سرور الدنيا وشرورها كأحلام نوم أو كظل زائل:

إن أضحكت قليلاً أبكت كثيرًا وإن سرت يومًا أحزنت شهورًا، وإن منحت يسيرًا منعت كثيرًا فلا يبقى لَهَا حبور، ولا يدوم فيها ثبور[1].

قال تعالَى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

وقال النَّبيّ ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا

---

(1) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين -الفرج بعد الشدة للتنوخي.

كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[1].

قال بعض أهل العلم: لنعم الله علينا فيما زوى عنا من الدنيا أفضل من نعمه علينا فيما بسط لنا منها، وذلك أن الله لَمْ يرض لنبيه الدنيا، فإن أكون فيها رضي الله لنبيه وأحب له، أحب إلَى من أن أكون فيما كره له وسخط.

قال ابن القيم رحمه: أشبه الأشياء بالدنيا الظل: تحسب له حقيقة ثابتة وهو في تقلص وانقباض، فتتبعه لتدركه فلا تلحقه، وأشبه الأشياء بها السراب يحسبه الظمآن ماء حَتَّى إذا جاءه لَمْ يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، وأشبه الأشياء بها المنام يرى فيه العبد ما يُحب وما يكره، فإذا استيقظ علم أن ذلك لا حقيقة له.

---

(1) رواه الترمذي (2378) الزهد، وابن ماجه (4109) الزهد- وله شاهد من حديث ابن عباس عند أحمد (2744) وإسناده حسن وصححه ابن حبان والحاكم ورواه البغوي في شرح السنة وقال هذا حديث حسن صحيح. هامش (236/14) شرح السنة.

قال بعضهم:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونَها

على أنَّهم فيها عراة وجُوَّع

أراها وإن كانت تُحب فإنَّها

سحابة صيف عن قليل تقشع

ومما يتسلى به المصاب أن ينظر في أحوال من ابتلى بهذا البلاء، فإن أهل المصائب يتعزَّى بعضهم ببعض وفي التأسي راحة عظيمة[1].

قالت الخنساء رضي الله عنها تنعي أخاها صخرًا قبل الإسلام:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنهم بالتأسي

فالمصائب في الدنيا إذا عمت صارت مسلاه، وتسلى الناس بعضهم ببعض.

أما في الآخرة فقد حرم الله عز وجل أهل النار من أن يتسلى بعضهم ببعض، وأغلق دونَهم هذا الباب، زيادة في تعذيبهم وتنكليهم كما قال تعالَى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: 39].

---

(1) الجواب الكافي لابن القيم -وتسلية أهل المصائب.

ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن ما يظنه العباد شرًّا قد يكون خيرًا وما يظنه العباد خيرًا قد يكون شرًّا.

قال تعالَى في حديث الإفك: ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ [النور: 11].

وقال تعالَى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره، لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره.

وقال الحسن رحمه الله: لا تكرهوا البلايا الواقعة والنقمات الحادثة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تؤثره فيه عطبك.

قال التنوخي: كان يقال المحن آداب الله عز وجل لخلقه، وتأديب الله يفتح القلوب والأبصار.

وقال كذلك: سَمعت أبا إسحاق إبراهيم بن العباس ابن مُحمَّد بن صول الكاتب يصف الفضل بن سهل، ويذكر تقدمه وعلمه وكرمه، وكان مما حدثني به أنه برئ من علة كان فيها، فجلس للناس وهنوه بالعافية فلما فرغ الناس من كلامهم قال الفضل: إن في العلل لنعمًا لا ينبغي للعاقل أن يجهلها: تَمحيص للذنب، وتعريض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وإذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء للمثوبة، وحض على الصدقة، وفي قضاء الله وقدره بعد الخيار.

ومما يتسلى به المصاب أن يعلم أن المصائب تتفاوت، فمهما كانت المصيبة بعيدة عن الدين تسلي بذلك، لأن المصيبة في الدين من أعظم المصائب، ومصائب الدنيا كذلك تتفاوت، فمهما حصلت الأدنى تسلى بذلك[1].

قال السفاريني رحمه الله: المصائب تتفاوت فأعظمها المصيبة في الدين، نعوذ بالله من ذلك فإنَّها أعظم من كل مصيبة، يؤيد ذلك قوله ﷺ: «المسلوب من سلب دينه»[2].

فإذا رأيت إنسانًا لا يبالي بما أصابه في دينه، من ارتكاب الذنوب والخطايا وفوات الجمعة والجماعة وأوقات الطاعات، فاعلم أنه ميت لا يحس بألم المصيبة ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [الروم: 52].

---

(1) غذاء الألباب للسفاريني (2/275، 276) تسلية أهل المصائب- الفرج بعد الشدة للتنوخي.

(2) لَمْ أقف عليه فيما عندي من المراجع ورحم الله من بصرنا بحاله.

ثُمَّ بعد المصيبة في الدين المصيبة في النفس، ثُمَّ في الأهل وهي مقاربة المصيبة في النفس، ثُمَّ المصيبة في المال، كالتي قبلها تتفاوت بحسب فخامة المصاب فيه وحقارته فأعظمها أنفسها إلَى أن تصل إلَى شسع النعل والشوكة فإنهما في غاية الحقارة، فإن حر المصيبة تنال من القلب بقدر ما فقد وتألم، وشسع النعل في غاية الخسة، فنبه المصطفى ﷺ على أعلى المصائب بقوله «المسلوب من سلب دينه» ويقرب من هذا قوله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ -أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي»[1].

---

(1) رواه الطبراني بلفظ «ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي» ورواه مالك في الموطأ (236/1) الجنائز. قال في تحقيق جامع الأصول: وإسناده منقطع قال الزرقاني في «شرح الموطأ» قال ابن عبد البر: وقد روى مسندًا من حديث سهل بن سعد وعائشة والمسور بن مخرمة. هامش (440/6). وهو بلفظه في سنن ابن ماجه (1599) وقال مُحمَّد فؤاد

قال في تسلية أهل المصائب:

ومن أعظم المصائب في الدين موت النَّبيّ ﷺ، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم لأن بموته ﷺ انقطع الوحي من السماء إلَى يوم القيامة وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد، بارتداد الذين ارتدوا عن الدين من الأعراب فهذا أول انقطاع عرى الدين ونقصانه، وغير ذلك من الأمور الَّتي لا تحصى. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حَتَّى أنكرنا قلوبنا. رواه ابن ماجه.

قال أبو العتاهية مسليًا بعض إخوانه في ولد له اسمه محمد[1]:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

أو ما ترى أن المصائب جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد

عبد الباقي رحمه الله: في إسناده موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

(1) نقلاً من غذاء الألباب (276/2).

من لَمْ يصب ممن ترى بمصيبة هذا سبيل لست فيه بأوحد

فإذا ذكـرت مُحـمَّدًا ومصابة فاذكر مصابك بالنبي محمَّد

وقال شريح[1]:

إنّي لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات أحمده إذ لَمْ تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع، لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لَمْ يَجعلها في ديني.

(1) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/158).

ومما يتسلى به المصاب أن يعلم أن الله تبارك وتعالَى يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه وصبره ورضاه بما قضاه عليه فهو سبحانه وتعالَى يرى عباده إذا أنزل بهم ما يَختبرهم به من المصائب وغيرها. ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي صدورهم فيثيب كل عبد على قصده ونيته.

وقد ذم الله تعالَى من لَمْ يتضرع إليه، ولَمْ يستكن له وقت البلاء كما قال تعالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: 71].

والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه ولا يشكو إليه حاله فإذا كان سادات الخلق وهم الأنبياء المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد أثنى الله تعالَى عليهم حيث شكوا ما بهم إلَى الله تعالَى قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 44].

وقد تقدم شكوى أيوب ويعقوب عليهما السلام إلَى الله عز وجل. وإعراض العبد عن الشكوى إلَى الله من الجهل به.

قيل لبعضهم كيف تشتكي إلَى من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء؟ فقال:

قالوا تشكو إليه ما ليس يخفى عليه

فقلت ربّي يرضى ذل العبيد لديه

ومما يتسلى به المصاب عن ألم المصيبة أن يتدبر عز الربوبية وذل العبودية فيعلم أن الله عز وجل يبتلي من يشاء من عباده بما شاء من ألوان البلاء، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه:

﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23].

فالله عز وجل له الملك كله وله الحمد كله قد أذل الخلق وقهرهم كما قال تعالَى: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56].

وهذا من تمام الإيمان بربوبية الله عز وجل ومشيئته النافذة فما شاء كان وما لَمْ يشأ لَمْ يكن.

ويتدبر العبد كذلك ذل العبودية، وكيف أنه عبد مدبر مقهور، ناصيته بيد غيره، يتصرف فيه مالكه كيف يشاء، ويبتليه بما شاء، وليس له إلا الرضى والتسليم، بل والمحبة والإيمان الكامل بكمال العدل والحكمة وإليه الإشارة بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

﴿رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156].

ولا شك في أن تدبر هذه المعاني يخفف من ألم المصيبة، ويفتح على العبد أبوابًا من المعرفة بالله عز وجل، والتسليم له وكذلك المعرفة بنقص العبد وفقره وذله، والأول يورث كمال الحب لله عز وجل، والثاني يورث تمام الذل له وهُما شقا العبادة، كمال الحب مع تمام الذل. كما يقال: العارف يخرج من الدنيا وما قضى وطره من شيئين ثناؤه على ربه عز وجل، وبكاؤه على نفسه.

ومما يتسلى به المصاب: ما رواه مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا قَالَ: «أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ

---

(1) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا -صيد الخاطر لابن الجوزي.
رواه الترمذي (243/9) الزهد: باب ما جاء في الصبر على البلاء وقال هذا حديث صحيح ووافقه في تحقيق الأصول ورواه أيضًا أحمد والدارمي وابن ماجه والحاكم وغيرهم.

كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[1].

فإذا علم المصاب أن البلاء على قدر الإيمان وله أسوة في أنبياء الله عز وجل وصلى الله عليهم وسلم، وكيف مع أنَّهم أفضل الخلق وأهل الاصطفاء كانوا أعظم الناس بلاء.

وروى ابن أبي الدنيا قال: لما أدخل إبراهيم التيمي سجن الحجاج رأى قومًا مقرنين في السلاسل، إذا قاموا قاموا معًا وإذا قعدوا قعدوا معًا فقال: يا أهل بلاء الله في نعمته، ويا أهل نعمة الله في بلائه إن الله عز وجل قد رآكم أهلاً يبتليكم فرأوه أهلاً للصبر، فقالوا: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا ممن يتوقع من البلاء مثل ما أنتم عليه فقال أهل السجن: ما نحب أن أخرجنا.

قال ابن الجوزي: رحمه الله: البلايا على مقادير الرجال.

---

(1) رواه البخاري (121/10)، المرضى، ومسلم (127/16) البر والصلة وقال النووي: والوعك هو الحمى وقيل: ألمها وقد وعك الرجل يوعك فهو موعوك.

فكثير من الناس تراهم ساكنين راضين بما عندهم من دين ودنيا وأولئك قوم لَمْ يرادوا لمقامات الصبر الرفيعة أو علم ضعفهم عن مقاومة البلاء فلطف بهم.

ومما يتسلى به المصاب: ما ذكره ابن الجوزي في صيد الخاطر، وتحت عنوان: كم من حكمة في الحرمان[1]:

قال رحمه الله: نزلت بي شدة، وأكثرت من الدعاء أطلب الفرج والراحة، وتأخرت الإجابة فانزعجت النفس وقلقت.

فصحت بها: ويلك تأملي أمرك، أمَملوكة أنت أم حرة مالكة؟ أمدبرة أم مدبَّرة؟

أما علمت أن الدنيا دار ابتلاء واختبار فإذا طلبت أغراضك ولِمْ تصبري على ما ينافي مرادك فأين الابتلاء؟

وهل الابتلاء إلا الإعراض، وعكس المقاصد.

فافهمي معنَى التكليف، وقد هان عليك ماعز، وسهل ما استصعب، فلما تدبرت ما قلته، سكنت بعض السكون.

---

(1) صيد الخاطر لابن الجوزي (207).

فقلت لَهَا: وعندي جواب ثان، وهو أنك تقتضين الحق بأغراضك، ولا تقتضين نفسك بالواجب له وهذا عين الجهل، وإنَّما كان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس، لأنك مملوكة والمملوك العاقل يطالب نفسه بأداء حق المالك ويعلم أنه لا يجب على المالك تبليغه ما يهوى.

فسكنت أكثر من ذلك السكون.

فقلت لها: وعندي جواب ثالث، وهو أنك استبطأت الإجابة، وأنت سددت طرقها بالمعاصي، فلو قد فتحت الطريق أسرعت، كأنك ما علمت أن سبب الراحة التقوى أو ما سمعت قوله تعالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2-3].

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 44].

أو ما فهمت أن العكس بالعكس؟

آه من سكر غفلة صار أقوى من كل سكر في وجه مياه المراد يمنعها من الوصول إلَى زرع الأماني.

فعرفت النفس أن هذا حق فاطمأنت.

فقلت: وعندي جواب رابع وهو أنك تطلبين ما لا تعلمين عاقبته، وربَّما كان فيه ضررك.

فمثلك كمثل طفل مَحموم، يطلب الحلوى، والمدبر لك أعلم بالمصالح.

وكيف وقد قال تعالَى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 216].

فلما بان الصواب للنفس في هذه الأجوبة زادت طمأنينتها فقلت لَهَا: وعندي جواب خامس، وهو أن المطلوب ينقص من أجرك ويحط من مرتبتك، فمنع الحق لك ما هذا سبيله عطاء منه لك.

ولو أنك طلبت ما يصلح آخرتك كان أولى لك، فأولى لك أن تفهمي ما قد شرحت.

فقالت: لقد سرحت في رياض ما شرحت، فهمت إذ فهمت.

ومما يتسلى به المصاب ويزول به هَمه وحزنه: قوله ﷺ: «ما أصاب عبدًا قط هم ولا غَمٌّ ولا حزن، فقال: اللهم إنِّي عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتِي بيدك ماضٍ فِي حكمك، عدل فِي قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سَميت به نفسك أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته فِي كتابك، أو استأثرت به فِي علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبِي، ونور صدري، وجلاء حزنِي وذهاب هَمي، إلا أذهب الله هَمه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا». قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لمن سَمعها أن يتعلمها»[1].

---

(1) رواه أحمد (3712)، وأبو يعلى (ق1/156) والطبراني في الكبير (3/74/1) وابن حبان في صحيحه (2372) والحاكم (1/509) قال الألباني: وجملة القول أن الحديث صحيح من رواية ابن مسعود وحده فكيف إذا انضم إليه حديث أبي موسى رضي الله عنهما وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الصحيحة (199).

وقال الهيثمي في المجمع: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان (10/126) مجمع الزوائد.

قال ابن القيم رحمه الله ما ملخصه [1]:

استوعب هذا الحديث الصحيح أقسام المكروه الواردة على القلب، فالهم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب، والحزن على مكروه ماض من فوات محبوب، أو حصول مكروه، إذا تذكره أحدث له حزنًا، والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم، فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه، وقد تنوع الناس فذي طرق أدويتها والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تباينًا لا يحصيه إلا الله بل كل أحد يسعى في الخلاص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية الَّتي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة كمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبائرها إلَى أصغرها وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها

---

(1) شفاء العليل (274-275) باختصار.

بالدواء الذي وصفه الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره، وأعظم أجزاء هذا الدواء التوحيد والاستغفار، قال الله تعالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [مُحمَّد: 19].

فالتوحيد يدخل العبد على الله، والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه فإذا وصل القلب إليه زال همه وغمه وحزنه وإذا انقطع عنه حضرته الهموم والغموم والأحزان وأتته من كل طريق. ودخلت عليه من كل باب، فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب للهم والغم والحزن بالاعتراف له بالعبودية حقًّا منه ومن آياته ثم اتبع ذلك باعترافه بأنه في قبضته وملكه وتحت تصرفه يكون ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء كما يقاد من أمسك بيده شديد القوى، لا يستطيع إلا الانقياد له ثُمَّ اتبع ذلك بإقرار له بنفاذ حكمه فيه وجريانه عليه شاء أم أَبَى وإذا حكم فيه بحكم لَمْ يستطع غيره برده أبدًا، وهذا اعتراف لربه بكمال

القدرة عليه واعتراف من نفسه بغاية العجز والضعف، ثُمَّ أتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل قضية ينفذها فيه هذا الحاكم فهي عدل محض منه لا جور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه فقال: «ماض في حكمك، وعدل في قضاؤك» ومن لَمْ يثلج صدره بهذا ويكون له كالعلم الضروري لَمْ يعرف ربه وكماله، ونفسه وعيبه ولا عدل في حكمه بل هو ظلوم جهول فنفوذ حكمه في عباده بملكه، وعدله فيهم بحمده وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونظير هذا قوله سبحانه حكاية عن نبيه هود أنه قال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[هود: 56].

۞ ۞ ۞

ومما يتسلى به المصاب: أن يتذكر ما فِي البلاء من لطائف وفوائد[1]:

فمنها: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب منها إلَى الله عز وجل قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له.

ومنها: زوال قسوة القلب وحدوث رقته وانكسار العبد لله عز وجل وذلك أحب إلَى الله من كثير من طاعات الطائعين.

ومنها: أنَّها توجب من العبد الرجوع إلَى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء وفي بعض الآثار: إن الله ليبتلي العبد وهو يُحبه ليسمع تضرعه، وكان بعض السلف إذا فتح له في الدعاء عند الشدائد لَمْ يُحب تعجيل إجابته خشية أن يقطع عما فتح له.

---

(1) نور الاقتباس في مشكاة وصية النَّبيّ ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما. وفوائد الابتلاء للعز ابن عبد السلام.

ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفاف إلَى المخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد، فكيف بالمؤمن فالبلاء للعبد تَحقيق التوحيد بقلبه، وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات.

ومنها: رحمة الله أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، فإن العبد إذا أحس بألم الابتلاء رق قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

ومنها: معرفة قدر نعمة العافية، فإن النعمة لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض.

انتهى بحمد الله تعالَى ما تيسر جمعه وأسأل الله تعالَى أن يتقبله وأن يجعله سببًا لتفريج الهموم وأن يجعله حقًا تسلية للمصاب ونحتسب عند الله الأجر والثواب.

مراجع الرسالة

1- القرآن الكريم.

2- تفسير القرطبي طبعة الشعب.

3- محاسن التأويل للقاسمي، ط دار الفكر.

4- فتح الباري شرح صحيح البخاري ط السلفية.

5- مسلم بشرح النووي ط المكتبة المصرية.

6- عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق أبادي مُحمَّد عبد المحسن ط المكتبة السلفية.

7- عارضة الأحوذي لابن العربي ط دار الوحي المحمدي.

8- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ط المكتبة العلمية.

9- سنن ابن ماجة، بترقيم مُحمَّد فؤاد عبد الباقي ط المكتبة العلمية.

10- جامع الأصول لابن الأثير بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط ط دار الفكر.

11- شرح السنة للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط ط دار بدر.

12- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ط المكتب الإسلامي.

13- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ط المكتب الإسلامي.

14- موطأ مالك ترقيم وتصحيح مُحمَّد فؤاد عبد الباقي ط الحلبي.

15- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني، ط دار العلم للجميع بيروت.

16- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ط مكتبة الرياض الحديثة.

17- تسلية أهل المصائب لابن عبد الله مُحمَّد بن مُحمَّد ابن مُحمَّد المنجبي الحنبلي، ط دار الفرقان.

18- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، تحقيق زكريا علي يوسف.

19- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ط دار عمر بن الخطاب.

20- صيد الخاطر لابن الجوزي ط المكتبة العلمية.

21- فوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام.

22- الفرج بعد الشدة للتنوخي، ط دار صادر بيروت.

23- جامع العلوم والحكم لابن رجب ط دار الحلبي.

24- موعظة المؤمنين للقاسمي ط المكتبة التجارية.

25- البحر الرائق في الزهد والرقائق للمصنف ط نور الإسلام.

26- الترغيب والترهيب للمنذري ط دار الفكر.

27- الوابل الصيب لابن القيم ط المكتبة السلفية.

28- ظلال الجنة في تخريج كتاب السنة -الألباني- ط المكتب الإسلامي.

29- نور الاقتباس في مشكاة وصية النَّبيّ ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما ط دار المدني.

30- الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، ط مكتبة الصحابة.

31- مَجمع الزوائد للهيثمي، ط دار الكتاب العربي.

الفهرس

الموضوع الصفحة

1- المقدمة.....

2- مما يتسلى به المصاب: الاسترجاع والاحتساب....

3- ومما يتسلى به المصاب: الآيات الكريمة في فضل الصبر .....

4- ومما يتسلى به المصاب: الأحاديث المرفوعة في فضل الصبر .....

5- ومما يتسلى به المصاب: أن يتدبر ما كان يفعله السلف عند المصائب .....

6- ومما يتسلى به المصاب: الآثار عن السلف الصالحين في فضل الصبر وثواب الصابرين.....

الموضوع الصفحة

7- ومما يتسلى به المصاب: أن يتذكر العبد نعم الله عليه .....

8- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أنه إذا صبر فإن الله يعوضه ولا يخيبه .....

9- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها .....

10- ومما يتسلى به المصاب: أن يجعل مكان الأنين والشكوى الذكر والاستغفار .....

11- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن المصيبة من عند الله فيرضى ويسلم .....

12- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن المصائب تمنع الفخر والخيلاء .....

الموضوع الصفحة

13- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن المصيبة

تفتح على العبد أبوابًا من العبادات .....

14- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن المصيبة إما

أن تكون تكفيرًا لذنب أو رفعًا لدرجة .....

15- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن شرور

الدنيا وسرورها لا يدوم .....

16- ومما يتسلى به المصاب: أن يتأسى بمن ابتلي

بمثل بلائه .....

17- ومما يتسلى به المصاب: أن المكروه قد يأتي

بالمحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه .....

18- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن المصائب

تتفاوت فمهما حصلت الأدنى تسلى بذلك .....

الموضوع الصفحة

19- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن الله تعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه .....

20- ومما يتسلى به العبد: أن يتدبر عز الربوبية وذل العبودية .....

21- ومما يتسلى به المصاب: أن يعلم أن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .....

22- ومما يتسلى به المصاب: ما ذكره ابن الجوزي في صيد الخاطر تحت عنوان «كم من حكمة في الحرمان».....

23- ومما يتسلى به المصاب: قوله ﷺ «ما أصاب عبدًا قط هم ولا غم ولا حزن..» الحديث .....

24- ومما يتسلى به المصاب أن يعلم ما في البلاء من لطائف وفوائد.....

الموضوع	الصفحة
25-مراجع الرسالة	
26-فهرس الموضوعات	

۞ ۞ ۞